وسواء هذا أم ذاك فانني قد تخلصت من الحرية التي تضايقني بغموضها . ويقف بطل شحر وجها لوجه في مواجهة الضجر والخواء الذي في البيئة العلمانية ، وكل ما في مقدوره ان يفعله هو ان يرفع يديه في يأس ليخفي بهما وجهه . وبعد ذلك يجعل شحر بطله ينساق في الاعتدال المريح ، الذي لا هدف له ، والذي لا ينطوي على دراما ، والذي لا قضية فيه ، ذلك الاعتدال الخاص بالبيئة العلمانية . أنه يسعى الى مستقبل ، والى كرامة والى حب النساء ، ولكنه يعرف في أعماق قلبه ان كل مكاسبه هي محطات في طريق فشله النهائي .

وفي هذا الاطار من المعالجة الخاصة عند شحر يكون من الصعب العثور على ما هو مشترك بين هذه القصص وقصص معظم الادباء من مواليد فلسطين ، ابناء « جيل البلاد » . ولكن مع هذا فان التحول الاخير يميز على الاقل نقطة لقاء . ان ابطال شحر يتصرفون منذ البداية بتحفظ تجاه القيم القومية والاجتماعية لليهودية العلمانية . انهم لم يتعلموا على هذه القيم منذ الطفولة ، وهم معتادون كذلك على ان ينظروا اليها — بتأثير بيئتهم القريبة — نظرة نافذة . أما ابطال يزهار ، وشامير ، وموسينسون ، وناثان شاحام وأهارون ميجد فانهم يتصرفون تجاه هذه القيم منذ البداية بايمان مطلق . لقد تعلموا عليها ، واعتادوا على النظر اليها — بتأثير بيئتهم القريبة — باعتبارها قيما مطلقة فوق النقد ، ولذلك فانه طالما ان للاوامر التي تستوجبها هذه القيم مبررا حتميا موضوعيا (وهذا المبرر غالبا ما يأخذ شكل الامة المحاصرة والتي تحارب من أجل وجودها حرب حياة او موت) فانه لا يطرأ على بال أحدهم اطلاقا أي شك في صلاحيتها . بل على العكس من ذلك ، فالاعتراف نفسه بحتمية أعمال معينة يجعل هذه القيم تحتل مكانتها وتكتسب صلاحيتها : من يستجيب لها هو انسان لحياته مضمون ، وذلك لان أعماله لازمة ولذلك فانها تثير الاحترام في نظر الكثيرين ، والتقدير الذاتي في نظر الفرد . ولكن في سنوات مـا بعد حرب ١٩٤٨ اتضح بسرعة ، انه يكفي ان ينقضي الاحساس غـير الوسيط للضرورة الموضوعية التي تثير رغبة الوجود وغريزة الدفاع الذاتي ، حتى يتلاشى تماما ذلك المغزى الذي أضفته هذه القيم على حياة الفرد . ويبدو ، أن فقدان احساس الضرورة الفورية يجرد القيمة القومية والاجتماعية من مبررها ، ويتلاشى معها كذلك المعنى الوجودي الذي في اقامة « الامر » الذي يستلزمه . ان الفرد يتجه الى نفسه ، ويكتشف في نفسه العديد من الرغبات والميول المتجهة نحو هنا وهناك دون قدرة على حسم رغبة متبلورة وطموح معين وواضح . وهنا نجد ان الدافع الذي كان يضفي على المطلب الذي كانوا يستجيبون له طوعا قد فقد المبرر الحاسم للحتمية ، وهو ذلك المبرر الذي لا يدع مجالا للشك في القيمة المطلقة للعمل ، وحلت العادة والشكلية التي لا يوجد فيها ما يثير الحماس في الانسان ، والتي لا يوجد فيهـا للانسان ما يواجهـه ويتحداه ، محل الحتمية الاجتماعية السياسية الصهيونية ، التي فقدت مسوغاتها في نظر الشاب الاسرائيلي .

اهارون ميجد

والتعبير المثير للاهتمام عن هذا التغير في وعي الاديب وأبطاله والذي يميز خطوة اخرى في تطور الادب الاسرائيلي بعد حرب ١٩٤٨ ، يوجد في كتاب أهارون ميجد (ولد في بولندا عام ١٩٢٠ وهاجر لفلسطين عام ١٩٢٦) « حادثة الابله » (١٩٦٠) الذي هو بمفهوم ما استمرار لقصته السابقة « حدقا وأنا » ، وكذلـك في كتـابه « الهـروب » (١٩٦٢) . وهذان الكتابان هما تعبير لفقدان الهوية لدى الشاب الاسرائيلي ، المؤمن بقيم حركات الشباب الصهيونية ، وذلك في الموقف الاجتماعي الجديـد الذي يسحب القاعدة من تحت وجوده الروحي . و« الابله » وابطال قصص « الهروب » الثلاثة هم